سلسلة الثقافة الإسلامية




الموقف من العنف والإرهاب والفتنة الطائفية

الشيخ محمد مهدي الآصفي

مختارات منتقاة من محاضرات ومؤلفات
الشيخ محمد مهدي الآصفي حفظه الله

اسم الكتاب: .... الموقف من العنف والفتنة الطائفية
المؤلف:... محمّد مهدي الآصفي
تاريخ الطبع: .... ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠م
الكمية.. ٣٠٠٠ نسخة
المطبعة: .... مطبعة مجمع أهل البيت عليهم السلام النجف الأشرف

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن
يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا
الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ
صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ * أَمْ حَسِبَ
الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا
سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾

العنكبوت: ١ ـ ٤

حكم الإعدام على الطاغية

تَلَقّى الناس خبر حكم إعدام طاغية العصر صدّام بفرحة كبيرة، وعمّت الفرحة الأوساط الشعبية العراقية، وسط أمواج الفتن والإرهاب الذي يعيشه العراقيون.

فقد مارس صدّام أبشع أنواع الجرائم بحق العراق وشعبه، من التشريد، والسجن، والتعذيب، والملاحقة، والقتل، والتصفية الجسدية، وانتهاك الحرمات، والإبادة الجماعية، والاضطهاد، والتعذيب الجسدي والنفسي، وإشعال الحروب في العراق وفي المنطقة، وتخريب الثقافة، والعلم، والتجارة، والزراعة، والعمران، والتركيبة السكانية، واستخدام الأسلحة الكيمياوية المحظورة دولياً لإبادة الأكراد، وإعدام العلماء ومراجع الدين وخطباء المنبر الحسيني، والأساتذة الجامعيين وما لا أعلم من فنون الإجرام الذي اقترفه صدّام وزمرته خلال هذه الفترة المشؤومة من تاريخ العراق المعاصر.

وعمّت المصائب والكوارث في عهده كل بيت في العراق. ولهذه الأسباب عمت الفرحة العراقيين عندما سمعوا حكم إعدام الطاغية، عدوّ العراق وعدوّ الإنسانية، وعدوّ الأطفال الذين يتّمهم،

وعدوّ النساء اللاتي رمّلهن وأثكلهن، وعدو الرجال الذين قتلهم في سجونه وحروبه... وهم ملايين.

والذين أغضبهم حكم إعدام الطاغية، وخرجوا إلى الشوارع يعلنون احتجاجهم وغضبهم، ويعلنون أنهم يفدونه بالروح والدم، هم أعداء هذا الشعب وأعداء الإنسانية بلا كلام ولا نقاش.

ولا نتردد لحظة واحدة في أن نضعهم في قائمة أعداء الناس الذين أذاقهم صدّام الأمرّين طيلة حكمه في العراق من الشيعة، والسنة، ومن العرب، والأكراد، والتركمان، وسائر شرائح الشعب العراقي. فلم يختص حقد صدّام وعذابه على فئة خاصة، وان كان للشيعة والأكراد النصيب الأوفى من حقده وعذابه.

كيف تسلّق صدّام إلى موقع الحكم في العراق؟

ويبقى علينا ان نتساءل: كيف وصل حزب البعث إلى موقع الحكم في العراق؟ وكيف وصل صدّام إلى موقع القيادة في الحكم؟

إن الشارع لا يخلو عن ناس ساقطين من أمثال صدّام في كل وقت وكل مكان... ولكن السؤال الذي نطرحه هنا قبل ان نغادر هذه النقطة: كيف وصل صدّام وسائر الجلاوزة إلى هذا الموقع من الحكم؟ وقد يقول أحد: وماذا ينفعنا هذا السؤال؟ فقد مضى صدّام وانتهى ولن يعود والحمد لله.

أقول: إذا كان صدّام قد سقط في قمامة التاريخ، فإن الساحة ـ أي ساحة ـ لا تُعدَم أمثال صدّام، وإذا لم نحصّن ساحتنا من تسلق أمثاله إلى مواقع الحكم فلسنا نأمن من ان يعود حزب البعث أو أمثاله من العصابات المفسدة في الأرض، ويعود أمثاله من المفسدين في الأرض إلى مواقع الحكم غدا.

إذن هذا السؤال والجواب عنه يعتبر أساساً من أُسس الوعي السياسي في حياتنا المعاصرة.

وإذا أردنا ان نحصّن مجتمعنا مستقبلاً من حدوث أمثال هذه الكوارث السياسية فعلينا ان نعمّق في نفوس الناس وعي هذا السؤال والجواب.

الفراغ الثقافي والسياسي:

إن الجواب على هذا السؤال لا يتطلّب منّا جهداً علمياً كثيراً لنقول: إن حزب البعث نشأ في الفراغ السياسي والثقافي والتعليمي في هذه الساحة وتسلّق صدام إلى مواقع الحكم في هذا الفراغ.

إن الساحة التي يملؤها الإيمان، والوعي، والجهاد، والعمل الصالح، والتنظيم، والحركة الواعية، والنظم، والتعليم، والإعلام الهادف، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله، والتربية والتهذيب لا ينشأ فيها حزب البعث بهذه القوة، ولا يستطيع فيها أن يتسلق هذه المواقع، ولا أن ينفذ في الجيش هذا النفوذ الواسع.

لو أن الحضور في قطاعات الجيش، وفي أوساط العمال، والفلاحين، والكادحين، والطبقة الفقيرة والمحرومة الواسعة من المجتمع، والأوساط الطلابية... وخدمتهم، وتثقيفهم كان موضع اهتمام المؤمنين الصالحين العاملين، لم يكن بإمكان الأحزاب الإلحادية والمادية الدخيلة علينا، ومنها حزب البعث، أن تنفذ إلى هذه الاوساط الشعبية والعسكرية والتعليمية والطلابية... إنّ هذا النفوذ أحد وجهي العملة، والوجه الآخر هو الفراغ التوجيهي والنفسي والخدمي من ناحية المؤمنين الصالحين.

ومن الخطأ ان ننظر إلى القضية من وجه واحد فقط، ولا نقرأ

الوجه الآخر.

ولست أُريد ان أنكر الجهد الكبير الذي بذلته الحوزة العلمية في النجف الاشرف والمؤمنون والحركات الإسلامية في التوجيه والتثقيف والتوعية، خطاباً وكتاباً، في صدّ المدّ الشيوعي الماركسي الأحمر في العراق... وقد عشت أنا تلك الفترة، وأتحدث عنها عن خبرة ومعرفة... ولكن أقول: إن هذا الجهد، رغم ضخامته لم يكن بحجم التحدّي الذي واجه الساحة الإسلامية في العراق يومذاك.

ومهما يكن من أمر فان ظهور ونشأة هذه الحركات والأحزاب التي تسلّقت إلى مواقع الحكم في العراق، تشكّل علامة واضحة للفراغ السياسي والثقافي والخدمي في الساحة الإسلامية... وأقصد بالفراغ الخدمي قلّة المشاريع الخدمية للشباب، والنساء، والاطفال، والطبقات الكادحة المستضعفة، والطلبة في الساحة الإسلامية مما سهّل أمر امتداد هذه الأحزاب والحركات إلى اوساط الجمهور، وبشكل خاص في الاوساط الكادحة والمستضعفة.

ولا يغيّر هذه الحقيقة الدعم الذي كانت تجده هذه الأحزاب والفئات من قبل أنظمة الاستكبار العالمي مثل أمريكا وبريطانيا والاتحاد السوفيتي (في وقته)، فان هذا الدعم لم يكن يجدي هذه الأحزاب (المستوردة)، لو كانت ساحتنا حافلة بالمشاريع الإسلامية الثقافية والسياسية والخدمية.

لكي لا يعود صدّام:

ولكي لا يعود أمثال صدّام إلى مواقع الحكم والقيادة من الهرم الاجتماعي، ولكي لا يعود حزب البعث وما هو على شاكلته من الأحزاب الدخيلة علينا من الغرب، إلى مواقعنا الثقافية والسياسية والقيادية والاجتماعية... علينا أن نبادر إلى ملء الفراغات.

إن الفراغ مسؤولية... فلا يوجد فراغ في شان من شؤوننا إلاّ ونتحمّل جميعاً (على طريقة الواجب الكفائي) مسؤولية هذا الفراغ حتى ينهض من بيننا من يسدّ هذا الفراغ.

والفراغات في ساحتنا الاجتماعية كثيرة.. في شؤوننا الثقافية والسياسية والإنسانية. وأن أكثر الشرائح الاجتماعية إحساساً بهذا الفراغ، ومعاناةً منه: الشباب... فهم يحتاجون إلى من يعينهم على دينهم ودنياهم، وإلى من يفتح لهم آفاق المستقبل، ويدخلهم الجامعة، ويهيئ لهم أسباب الزواج، ويهيئ لهم فرص العمل، والشباب بحاجة إلى الرياضة، وإلى الكتاب، وإلى الخطاب السياسي، وإلى التثقيف الديني، وإلى الثقافة السياسية، وإلى التنظيم، وإلى الندوات واللقاءات والمؤتمرات، وبحاجة إلى من يعلّمهم أمور دينهم، ويدفع عنهم الشبهات التي تراود أذهانهم، وبحاجة إلى من يعالج لهم المشاكل التي تحدث بينهم وبين

آبائهم، وأمهاتهم، وبينهم وبين أزواجهم، وبحاجة إلى من يعالج لهم الاحباطات النفسية التي يواجهونها في حياتهم العلمية في الجامعة، أو الاقتصادية في السوق، أو العائلية في البيت وما يشبه ذلك، وبحاجة إلى التربية الروحية والإعداد النفسي للعروج إلى الله، وبحاجة إلى من يعلّمهم كيف يقبلون على الله تعالى في صلاتهم، وبحاجة إلى من يحشرهم في أجواء المساجد والأجواء الروحية من العبادة، والدعاء، والاعتكاف، والحج، والعمرة، لتصفو لهم نفوسهم، ويعيشون أجواء الذكر والدعاء والقرب من الله تعالى.

كل ذلك وغيرها مما لا نقدر ان نحصيها في هذه العجالة حاجات للشباب، ومتطلبات هذه المرحلة من عمر الإنسان.

فمن يُقدّم للشباب هذه الخدمات يتعلقون به لا محالة، ويكسبهم لا محالة... وإذا تخلّى المؤمنون عن ملء هذه الفراغات في حياة الشباب، فسوف لا يبقى الشاغر شاغراً إلى الأخير، ويتصدى من يملأ هذا الشاغر بغير وجهه الصحيح، مِنْ أصحاب اليمين والشمال من الأحزاب المنحرفة المستوردة من هنا وهناك، وعندئذ ينفذون من خلال التصدّي لشؤون الشباب إلى حياة الشباب وأوساطهم في الجامعات، وفي المعامل، وفي المزارع، وفي الشارع، فيأخذون معهم شبابنا، وأبناءنا وبناتنا ثم ندعوهم فلا يستجيبون لنا.

لقد كانت هذه مصيبتنا قبل خمسين سنة، عندما استحوذت الأحزاب من اليمين واليسار، الشرقية منها والغربية، على أوساط الشباب فنظّموهم، وجنّدوهم، لخدمة الأهداف الإلحادية والاستعمارية ومحاربة الإسلام من حيث يعلمون أو لا يعلمون.

وما نقوله عن الفراغات الهائلة في أوساط الشباب نقوله أيضاً عن الفراغات الهائلة في أوساط النساء، وفي أوساط الأطفال، وفي أوساط الفلاحين والمزارعين، وفي أوساط العمال، وفي أوساط العشائر، وفي أوساط الجيش والشرطة والقوات الأمنية، وفي أوساط المدرسين والمعلمين، وفي الأوساط السياسية... وهلّم جرّا.

ولكي لا يعود أمثال صدّام وحزب البعث إلى حياتنا مرّة أخرى لابد ان نفكّر جميعاً في ملء هذه الفراغات، كلّ بحسبه، وكلّ بقدر قوته وعلمه ونفوذه.

فإذا خرج كل واحد منّا من حصار بيته إلى المجتمع، يفكّر في شؤون المجتمع وحاجاته، ويفكّر في الآخرين ومطالباتهم، ويسعى بقدر ما آتاه الله من القوة في ملء الفراغات في المجتمع... مكّننا الله تعالى أن نحصّن بلدنا ومجتمعنا وشعبنا وأُمّتنا من أمثال صدّام وحزب البعث، ومن نفوذ أمريكا وإنكلترا وغيرهما من أنظمة الاستكبار العالمي.

مرحلة جديدة من تاريخ العراق

إن سقوط صدّام نهاية مرحلة في تاريخ العراق المعاصر، وبسقوط الطاغية تبدأ مرحلة جديدة من التاريخ ينتقل الحكم فيها من الدائرة الضيّقة للعصابات التي كانت تستأثر بالحكم في العراق إلى المساحة الواسعة التي يحتلها الجمهور، وهم أصحاب هذه السلطة الشرعيون.

إنّ المشاركة الواسعة في الانتخابات التي تمّت بعد سقوط النظام من قبل الجمهور كانت حركة راشدة، نقلت السلطة إلى الناس مباشرة ومكّنتهم من تقرير مصيرهم.

إن انتقال السلطة هذه المرة يختلف عن الدفعات السابقة... فقد كانت السلطة تتنقل سابقاً من أيدي عصابة إلى عصابة أخرى من العصابات التي كانت تستأثر بالحكم والسلطة في العراق، وتمارس فيه الظلم والإفساد، وتتلقّفها عصابة من عصابة، كالكرة يتداولها هذا الفريق ثم يتلقفها الفريق المنافس له عن الفريق الأول... أما هذه المرة فقد اختلف الأمر اختلافاً جوهريّاً. وخرجت السلطة من أيدي العصابات المستأثرة بالحكم، ودخلت في حوزة الجمهور أصحاب الحق الشرعيين في السلطة...

ولا تمرّ هذه العملية الانتقالية الكبرى من دون معاناة، ولا

عذاب، بطبيعة الحال، ولابدّ ان تقترن بكثير من الإرهاب والعنف والفتن، ويحتاج الناس في هذه الفتن إلى كثير من الوعي والمقاومة والصبر.

ومن الخطأ ان يتصوّر الناس ان يمرّ انتقال السلطة من أيدي العصابات الحاكمة إلى الناس من دون معاناة وفتنة.

ولابد أن يتوقع الناس مثل هذه الأزمات والفتن ولا يفاجئون بها... فإن الذي حقّقه الناس بفضل الله تعالى هذه المرّة مكسب تاريخي كبير، جاء نتيجة لمعاناة وعذاب طويلين، منذ سقوط ولاية آل عثمان على العراق إلى اليوم.

وقد حفلت هذه الفترة الصعبة من تاريخ العراق (وهي تقرب من قرن) بالتهميش والإقصاء للجمهور، والاستحواذ على حقوق الناس، والظلم، والعدوان، والاستئثار والاحتكار للسلطة، والحيف، والإجحاف بحقوق الناس.

وكما انتهت فترة الظلم والاستحواذ الطويلة، تنتهي كذلك فترة الإرهاب والعنف والتفجير والتفخيخ أيضاً، إن شاء الله. والناس إذا عرفوا الإنجاز السياسي العظيم الذي حقّقه الله تعالى لهم هذه المرة يهون عليهم تحمّل هذا الإرهاب والعنف ومقاومته. ويشعرون بضرورة الاحتفاظ بهذا الإنجاز التاريخي الذي حققه الله تعالى لهم.

خطاب الإرهاب السياسي

ان لهذا الإرهاب السياسي الذي يجري اليوم في ساحتنا، تحت عنوان الطائفية، خطاباً واضحاً لمن يتأمل في سير الإرهاب وحركته والعناصر المُتَبنّية له، ولا نحتاج إلى كثير تأمل وتوقف لنكشف هذا الخطاب فقد كان الشيعة والسنة يعيشون في العراق تاريخاً طويلاً في جوّ من التفاهم والتعاون، في حياة مشتركة، فما الذي جرى بعد سقوط نظام صدّام ليجري كل هذا الإرهاب والاجرام على ساحتنا تحت عنوان الطائفية.

إن المسألة واضحة، والخطاب واضح، والغاية واضحة... لقد كانت السلطة في العراق ـ بكل مواقعها السيادية والرئيسية في أيدي عصابات عميلة لأنظمة الاستكبار العالمي، مستأثرة بالحكم ومواقعه. وكانت المنافسة فيما بينها ـ في دائرة مغلقة ـ تختطفها عصابة من مكالب عصابة أخرى، بانقلاب عسكري، وكان آخرها عصابة حزب البعث التكريتية. وقد شاء الله تعالى ان تخرج السلطة، بكل مواقعها اليوم، من دائرة هذه العصابات جميعاً، وتدخل في حوزة الجمهور، وفي متناول الناس.

والخطاب الذي تتضمنه العمليات الإرهابية هي إعادة السلطة إلى تلك الدائرة المغلقة، وإعادة هذه العصابات مرة أخرى إلى

مواقع الحكم والقرار والمال والإعلام، وتهميش دور الناس... بعد أن تمكّن الناس من اختراق الحواجز السياسية التي خلفتها لنا السياسة الاستعمارية البريطانية، وبعد ان تمكّن الناس من ان يشقّوا طريقهم إلى المشاركة الواسعة في العملية السياسية، وإلى مواقع القرار والحكم.

إن الإرهاب السياسي الذي يتأطّر اليوم بإطار الطائفية يحمل هذا الخطاب، ويهدّد بمواصلة الإرهاب والقتل والإجرام، حتى يعود الناس مرة أخرى من الشارع المفتوح إلى بيوتهم المغلقة، ويغلقوا أبواب بيوتهم على أنفسهم وأولادهم وبناتهم، فلا يخرجون إلى الشارع، ولا يطالبون بحقوقهم، ولا يرفعون أصواتهم، ولا يراقبون ما يجري على مواقع القرار من ظلم، وإفساد، وسرقة، ونهب لأموال بيت المال، وعقود واتفاقيات، تمكن أنظمة الاستكبار العالمي من العراق، والخليج، والنفط، والمنطقة.

هذا هو خطاب الإرهاب لمن يفهم لغة الإرهاب.

إلغاء إرادة الناس

إنّ المسألة كلها تختصرها هذه الكلمة: إلغاء إرادة الناس وانتخابهم، وإلغاء المجلس الذي انتخبه الناس والحكومة التي انتخبها الناس.

إنّ حضور الناس في الساحة، ووجود صحافة حرّة، ومحطات إعلامية تمثل ارادة الناس، وتعكس انتخابهم واختيارهم، وتمارس المراقبة الدقيقة لما يجري في المواقع السياسية والاقتصادية من التلاعب باقتصاد البلد وثرواته، ومصالحه السياسية... أقول: إن مثل هذا الحضور الواعي المراقب من قبل الناس في الساحة، أمر يزعجهم بالتأكيد، ويجدون في ذلك تهديداً جدّياً لمصالحهم الكبيرة، وعمالتهم لأنظمة الاستكبار العالمي، ونهب خيرات العراق وثرواته... إن حضور الناس في الساحة ومراقبتهم لما يجري في مواقع القرار، وانتخابهم لمواقع القرار يحول دون ذلك كله...

والإصرار على إفشال هذه الحكومة، وتعجيزها بالتفجيرات، وحوادث الإرهاب، وضرب المؤسسات العامة، وإخراج عصابات الشغب إلى الشارع... هو في الحقيقة حلقة من مسلسل رهيب لإلغاء إرادة الناس وانتخابهم وعلى الجمهور أن يدرك هذه الحقيقة، ويقاومها... والإدراك والوعي السياسي الصحيح شرط المقاومة، وجزء من الحلّ.

الإرهاب والمقاومة

ومن عجب أنّ الفضائيات العالمية تتناقل اليوم صور ومشاهد هذا الإرهاب من آلاف الشهداء والجرحى، والجثث المقطعة التي

تدفن من غير أن يتعرّف أهلهم عليهم لما جرى عليهم من تشويه... وتجري هذه العمليات في الاسواق والشوارع والمساجد والحسينيات... وتجري على مدارس الاطفال، فتحرقهم، وهم يحملون حقائبهم المدرسية باتجاه بيوتهم، وتجري على مواقع تجمع العمال الذين يترقبون من يأخذهم معه إلى أعمال البناء، ليعودوا إلى بيوتهم وزوجاتهم وأولادهم برزق يومهم... ثم يطلقون على هذه الأعمال الهمجية اسم (المقاومة)، تحت غطاء ما يحدث بين الحين والحين من قتل بعض جنود الاحتلال الأمريكي أو البريطاني.

وقد كنا نسمع بدور الإعلام في التضليل، وإبعاد القريب، وتقريب البعيد، وإحقاق الباطل، وإبطال الحق، ولكننا لم نكن نصدّق من قبل أنّ أُناساً من أهل العقل والعلم، يحملون عنوان (علماء الدين) وينتمون إلى (حركات وأحزاب إسلامية)...يُسمّون هذه المجازر البشرية والعنف والإرهاب والقتل للأبرياء بـ (المقاومة) ويدافعون عنها.

لقد بلغ عدد الشهداء في عام ٢٠٠٦ مثلاً وخلال مدة لا تتجاوز الشهرين تقريباً سبعة آلاف شهيد من الرجال والنساء والأطفال الأبرياء من غير ذنب، وبلغ أعداد الجرحى والمصابين أضعاف هذا العدد... فهل يصحّ ان نسمّي هذا كله بالمقاومة، إذا قتلوا ها هنا

جنديا أمريكياً، وهناك جندياً بريطانياً... إنّ المقاومة هي مقاومة المحتل الكافر، وهو عمل شريف، وقتل الابرياء من المسلمين حرام، وسفك للدم الذي حرّمه الله، ومن كبائر الذنوب التي حرّمها الله... وأين هذا من المقاومة؟

الفتنة الطائفية

إشعال الفتنة الطائفية مشروع سياسي إنكليزي، ورثه الأمريكان من الإنكليز... استخدمه الإنكليز في تمرير مشاريعهم السياسية الكبرى في العالم الإسلامي، وفي العراق.

وكان يقول السفير (المندوب) الإنكليزي في العراق: إننا كنا نستخدم الطائفية بمثابة عتلة في كبرى مشاريعنا وقضايانا السياسية.

وإن الأمريكان اليوم من وراء ما يجري في العراق من الفتنة الطائفية، من القتل، والتدمير، والتخريب... وهم يبتغون من إشعال الفتنة تغطية حضورهم، وتثبيت أقدامهم، وتمرير مشاريعهم السياسية، والاقتصادية، والعسكرية في العراق... ولا يجدون أداةً تخدم أهدافهم وأطماعهم مثل إشعال الفتنة الطائفية بين السنّة والشيعة في العراق.

إن هذه الفتنة إذا ثارت بين المسلمين في العراق كانت محرقة لا تبقي ولا تذر على شيء، وتحرق الرطب واليابس.

وإشعالها أمر يسير، تكفيها كلمة غير مسؤولة، وتعبير متشنّج غير مسؤول، من أيّ من الفريقين، وخطاب مذهبي انفعالي، وغير منضبط لتشتعل الفتنة، وإذا اشتعلت ـ لا سمح الله ـ فسوف يضرّ

الجميع، ولا يستثنى أحداً، ويجرّ الجميع إلى تيّارها المخرّب.

ونحن ندعو المسلمين جميعاً، ونخصّ بالذكر والدعوة العلماء وخطباء الجمعة والجماعات، والمثقفين الإسلاميين، والحركات والأحزاب والجماعات الإسلامية العاملة.

... ندعوهم إلى الحذر من الوقوع في هذه الفتنة، والانجرار إليها، في حالة انفعالية، غير مسؤولة، وأن يستعلوا ويترفّعوا في هذه الفترة، بشكل خاص، عن كل الحالات الانفعالية والمتشنجة، ويتصرفوا من موقع المسؤولية عن وحدة الشعب العراقي، وحالة الاخوّة الإسلامية التي يدعوا إليها الله، وحرمة دماء المسلمين من كل مذهب وجماعة، إذا كان يشهد صاحبها بشهادة ان لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله.

فقد صحّ عن رسول الله ﷺ في الرواية المتواترة التي تضافرت روايتها في مصادر الحديث أنه ﷺ قال: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلاّ الله، فإذا قالوها حرمت عليّ دماؤهم وأموالهم إلاّ بحقها وحسابهم على الله**»[1].

١ ـ رواها المجلسي في بحار الأنوار، والدارمي في السنن، والبخاري في الصحيح، بلفظ قريب منه، وأبو داود في السنن، وأحمد بن حنبل في المسند، وابن ماجة، والنسائي في السنن... وآخرون.

وأدعو العلماء من كل من الفريقين الكبيرين في العراق إلى النقاط التالية، لتحصين العراق من الوقوع في محرقة هذه الفتنة.

١ ـ الإفتاء بوضوح بحرمة دم المسلم، وإن دم المسلم ـ مهما كان انتماؤه المذهبي ـ من أعظم حرمات الله، يحرم سفحه الا بحقه، وحقه معروف في كتاب الله الذي يتلوه المسلمون ليلاً ونهاراً.

٢ ـ تحريم الانتماء إلى الجماعات الإرهابية المتطرّفة، التي تتحمل علانية، وصراحة كِبَر ما يجري في العراق من مذابح ومجازر، ومن سفح الدم الحرام، وإدانة أعمالها في العراق.

٣ ـ الدعوة إلى ما يدعونا إليه الله تعالى في كتابه من الاعتصام بحبله، ونبذ التفرّق والتقاطع والتشتّت، والتأكيد على حالة الأُخوة الإسلامية بين المسلمين، وتعميق مفاهيم الأُخوة، والتعاون، والتفاهم، والتزاور، والتحابب، والتكافل داخل الأُسرة الإسلامية الكبيرة، والتأكيد على أن الدعوة إلى التفرق، والتقاطع، والتخالف، والسعي إليه هو من عمل الشيطان وكيده بالمؤمنين.

٤ ـ الدعوة والسعي إلى إقامة اللقاءات المشتركة بين علماء الشيعة والسنة، وأحزابهم وحركاتهم الإسلامية والمثقفين والعاملين منهم في حقل العمل الإسلامي، لتداول القضايا السياسية والثقافية في جوّ من الحوار والتفاهم الموضوعي الهادئ، وقد جعل الله

تعالى في اللقاء بين المؤمنين، للحوار، والتفاهم، والتعاون على البر والتقوى خيراً كثيراً، وبركة كثيرة. ولا يجتمع المؤمنون في مكان واحد ليتداولوا أمورهم، ويتحاوروا ويتعاونوا على البرّ والتقوى الا ويشملهم الله تعالى برحمته، وتنزل عليهم رحمة الله، ويكونون تحت غطاء رحمة الله.

وهذه اللقاءات تذيب بفضل الله ورحمته الجليد المتراكم بين القلوب والصفوف، وتبدّلها إلى محبة ووئام وانسجام إن شاء الله.

٥ ـ الدعوة إلى تهذيب لغة النقد والمناقشة والحوار في القضايا السياسية، في الصحف والمحطات الإعلامية السياسية، واستخدام اللغة التي علّمنا الله تعالى في الحوار، بأحسن ما نستطيع ﴿**وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾، والابتعاد عن الأساليب المتشنجة غير المسؤولة والانفعالية.

لقاء مكة المكرمة

ولقد كان لقاء مكة المكرمة الذي جمع علماء المسلمين من الفريقين وأصحاب الرأي والحلّ والعقد منهم، بجوار بيت الله الحرام، للتفاهم والحوار، لغرض تجنّب الفتنة الطائفية وسفك الدم الحرام... لقد كان لقاء مكة عملاً مباركاً شريفاً من منطلق الإحساس بالمسؤولية الإسلامية، تجاه قضايا المسلمين السياسية.

إنني أعتقد إن أمثال هذه اللقاءات، في هذه الفترة بالذات من أفضل الآليات الإسلامية لتحقيق الأُخوة الإسلامية والتفاهم والحوار الموضوعي، وتحصين الأمة من التشرذم، والتشتت، والتقاطع.

شريطة ان تكون أمثال هذه اللقاءات منطلقاً للعمل المشترك والتفاهم والتعاون وتقريب وجهات الرأي والنظر في المسائل السياسية الكبرى.

ونرجو ان يبادر الأُخوة الذين وقّعوا ميثاق مكة المكرمة ومن يلتقي معهم في الرأي إلى تفعيل بنود هذا الميثاق.

دور الاحتلال الأمريكي في فتنة الإرهاب

وثمة عامل آخر للإرهاب في ساحتنا، وهو أمريكا، ولا نحتاج إلى جهد كبير لنكتشف الدور الأمريكي في هذا الإرهاب الذي يعصف بالعراق، ولا نحتاج إلى جهد كبير لنعرف لماذا تشجع أمريكا الإرهاب في العراق وتدعمه.

إن الأمريكان يعملون بجدّ لإفشال الحكومة الحاضرة التي انتخبها الناس، عن طريق ممثّليهم في المجلس النيابي، ويخططون ويعملون لإيصال هذه الحكومة إلى طريق مسدود بالإرهاب، ونقص الخدمات، وافتعال الفتن والأزمات، والغاية من ذلك انتقال السلطة إلى حكومة موالية لهم، فيوفّرون حينئذ للحكومة الجديدة الموالية لهم الأمن والخدمات ليطمئن الناس إليها...

إنّ هذه الحكومة تتعامل مع الأمريكان بالضرورة، لأن الأمريكان متواجدون على الأرض، ولا يمكن تجاوزها، ولكنها ليست حكومة موالية للأمريكان، والأمريكان لا يقبلون بعد هذه الخسائر الكبيرة التي تحمّلوها في العراق في النفوس والأموال بأقل من حكومة موالية (عميلة) لهم، تنوب عنهم في المحافظة على مصالحهم في العراق... وهذه الحكومة القائمة فعلاً تمثّل الشعب

العراقي وليس الأمريكان، وهذا ما ترفضه أمريكا... وتعمل لنقل السلطة منها إلى حكومة موالية لها، ثم توفّر لها كل ما يطلبه الناس من الأمن والخدمات.

والآلية المفضلة لدى الأمريكان في نقل السلطة إلى حكومة تعطيهم ولاءها، هي الإرهاب والعنف بالدرجة الأولى، ونقص الخدمات بالدرجة الثانية، وإثارة الشغب والفتن ثالثاً.

وتصريحات الرئيس الأمريكي في واشنطن، والسفير الأمريكي في بغداد، يستبطن هذا التهديد لمن يعرف لغة الشياطين، فإن الرئيس الأمريكي يصرح بأنّ صبر أمريكا له حدود، وعلى وشك النفاذ، ولابد ان تتدارك الحكومة العراقية أمرها قبل ان ينفذ صبر أمريكا. والسفير الأمريكي يمهل الحكومة العراقية شهرين فقط.

ويستعين الأمريكان في نشر الرعب والإرهاب بحزب البعث والتطرف الديني الحاقد.

والحكومة القائمة فعلاً تعرف تفاصيل كثيرة عن هذه المؤامرة الأمريكية، وتعاني منها كثيراً. ولا أعرف لماذا لا تكاشف الناس بأمر التدخل الأمريكي السافر في إشاعة الرعب والإرهاب في العراق، وحماية العناصر الإرهابية، وفسح المجال لها لممارسة الإرعاب والإرهاب؟

ومن غير الصحيح ان يقول أحد: أنّ هذا الإرهاب يمسّ الأمريكان أيضاً، ولا يقتصر أمره على جماهير الناس في الأسواق ومحطات الوقود والمساجد والحسينيات... فإننا نقول: إنّ الإرهاب في العراق إرهابان: إرهاب يمسّ الأمريكان أنفسهم، وإرهاب يمس الناس. والأمريكان يقابلون الإرهاب الأول بكل قوة وحزم، ويتغاضون عن الإرهاب الثاني، ويتعاملون ويتعاونون معهم، وقد صرّح السفير زلماي أكثر من مرّة بأنّ الأمريكان يلتقون بالمسلحين ويتفاهمون معهم.

مثلّث المؤامرة

إننا نواجه مؤامرة ذات ثلاثة أضلاع: (أمريكا والبعث، والتطرف الديني الحاقد «الإرهاب»)... وهذه المؤامرة تريد ان تنهي هذه الفترة التي استلم فيها الناس حق تقرير مصيرهم عن طريق الانتخابات، وأن تعيد الناس مرة أخرى إلى هامش الحياة السياسية، وان تسلّم مصير الناس والبلد مرة أخرى إلى حكومة العصابات التي طالما حكمت العراق، وأرهقته، وظلمت الناس، وأرهقتهم.

إنّ أمريكا تستطيع ان تتفاهم مع حكومة العصابات في أي بلد، وتليّن عودها، وتُحْرز ولاءها وعمالتها لها، ولا تستطيع ان تساوم الحكومات التي تمثل إرادة الأمة وانتخابها.

وتنطلق أمريكا وأنظمة الاستكبار العالمي في سياستها الخارجية الجديدة (الاستعمار الجديد) في العالم كله من هذا المنطلق، فتتدخّل وتسقط الحكومات التي ينتخبها الناس، وتغيّرها بحكومات تحرز ولاءها، وترتضيها لحماية مصالحها والدفاع عنها، كما حصل ذلك في الجزائر، وكما حصل في تركيا، وكما حصل في أقطار أخرى، حيث ألغت أنظمة الاستكبار العالمي الغربية انتخاب الناس، وتدخلت بقوة العسكر، لتفرض على الناس إرادتها، ثم لا تشغل قواتها لحماية مصالحها، وإنما تنوب عنها العصابات الحاكمة في حماية مصالحها والدفاع عن نفوذها السياسي والاقتصادي بالنيابة عنها.

الإعلام اللاَمسؤول

ليس الإرهاب فقط من مقولة السلاح والتفجير والتفخيخ، وإنما هناك سنخ آخر من الإرهاب من نوع الإعلام، يغتصب الرأي العام اغتصاباً، ويفرض على الناس قناعة معينة، وتصوراً معيناً بالكذب، والتهويل، والتشهير، والتسقيط، وانتحال الخبر.

وللإعلاميين وسائل كثيرة في ذلك. والإعلام اليوم علم يدرس في الجامعات، في أكثر من تخصص ومهمته إحقاق الباطل وإبطال الحق، وصناعة الخبر بالطريقة التي يريدها صاحبه، انتحالاً أو تهويلاً، وتضخيماً أو تحجيماً وتسطيحاً.

لقد كنّا نشاهد عن كثب تهجير عشرات الآلاف من العوائل الشيعية إلى محافظات الوسط والجنوب من بيوتهم وممتلكاتهم من ديالى، وبغداد، والموصل، وتلعفر، وسامراء، وبلد، واللطيفية، وسلمان باك وغيرها من المناطق المختلفة.

وها هي تجمعاتهم في المخيمات وفي البنايات الحكومية التي لم تكتمل وفي الحسينيات قائمة على وجه الأرض، يتمكن كل احد أن يراهم ويسمعهم.

وسقط عشرات الألوف من القتلى في المدن الشيعية في النجف، وكربلاء، والكاظمية، والحلة، والديوانية، والبصرة،

وبغداد، والصويرة في حوادث التفجير والتفخيخ في مدارس الأطفال، وفي الأحياء الشعبية المكتظة بالناس، وفي الأسواق في وسط الباعة المتجولين، وفي الحسينيات، والمساجد، كما حدث على جسر الأئمة في الكاظمين، وفي مسجد براثا، وفي مساجد الموصل وكركوك، وفي مناسبات زيارة عاشوراء والأربعين في كربلاء، وفي المذابح الجماعية التي تعرّض لها شيعة أهل البيت عليهم السلام في الحافلات وعلى الطرق، بدليل (الاسم) فقط... وكانت ذروة ذلك كله تفجير حرم الإمامين العسكريين عليهما السلام في سامراء الذي أثار غضب المسلمين جميعاً، وغضب شيعة أهل البيت عليهم السلام بشكل خاص.

وكانت المرجعية الشيعية، والخطاب الشيعي ـ خلال هذه الفترة الصعبة ـ توصي أتباع أهل البيت عليهم السلام بضبط النفس، وتجنب الفتنة الطائفية، ويدعو لترسيخ حالة الأخوة الإسلامية، والحذر من تحميل أهل السُنّة في العراق ما يجري على الشيعة من مذابح لا مثيل لها في تاريخ العراق منذ عصر الحجاج إلى اليوم... وقد كان الخطاب الشيعي يتجنّب تسمية شهداء التفجيرات والمذابح أحياناً بانتمائهم الشيعي، وإنما يذكرونهم بمناطقهم تجنّباً للإيحاءات السلبية التي يحملها هذا الإعلام.

ولكن يفاجئنا في جوّ هذه الفتنة إعلام لا مسؤول عن التفجير والتخريب والقتل في المساحة السُنّية من العراق، وفي مساجدهم، ومراكزهم الدينية، وتحميل شيعة أهل البيت عليهم السلام مسؤولية هذه الأعمال... وذلك في مؤتمر اسطنبول، وفي حركة الوفود الحزبية والعلمائية العراقية إلى البلاد العربية لإعلان التظلّم السني من شيعة العراق، وإنذار العالم الإسلامي السني: بأن سُنة العراق في خطر من ناحية الشيعة، وإنذارهم بالتهديد الصفوي!! الذي يهدد السُنة في العراق!!!

ولم يحصل لسُنة العراق ومساجدهم ومراكزهم عُشر ما حصل للشيعة في العراق... وبإمكان أي إنسان أن يتأكد من ذلك بنفسه من خلال تجمعات المهجرين في المناطق الشيعية والمناطق السنية.

...ونحن نرفض بالتأكيد التجاوز على أهل السُنة في العراق، ونستنكره، ونشجبه **أولاً**.

ولا نحب أن ندخل حرباً إعلامية شيعية ـ سُنية في هذا المجال، ولا نستسيغه **ثانياً**.

ولا نفرّق في هذا الإنكار والشجب بين أن يكون العدوان على أهل السُنّة أو على الشيعة في العراق، والشيعة والسُنّة عندنا في ذلك سواء بحكم الله ورسوله، **ثالثاً**.

ولكن أخاطب أصحاب الرأي والذين يتحسّسون المسؤولية الإسلامية في الفتن الطائفية أن هذه الحالة الإعلامية التي جرت في (اسطنبول) والتي اتصلت حلقاتها فيما بعد في الوفود التي تحرّكت إلى العالم العربي، لحمل ظلامة أهل السُنة في العراق... أقول: إنّ هذه الحالة ليست إدارة صحيحة لهذه الفتنة.

إن الحالة التي نعيشها اليوم في العراق فتنة طائفية عارمة، من أقسى أنواع الفتنة، ومن وراء هذه الفتنة أيدي خبيثة تعمل لإشعال هذه الفتنة. ونحن في هذه الفتنة بحاجة إلى دين وعقل، يدعو إلى ضبط النفس، وترسيخ الاخوّة الإسلامية، والتأكيد على حرمة دم المؤمن وماله، والتحذير من تأليب كلّ من الطائفتين ضد الأخرى، وإثارة العواطف وحالات الانفعال الطائفية...

نحتاج في هذه البرهة إلى خطاب الدين والعقل، ورفض خطاب العصبية والانفعال والعاطفة.

ونحن لا نتوقع من القنوات الإعلامية الفضائية التي تخدم قصور الحكام والأمراء وأنظمة الاستكبار العالمي ان تنهج نهج الدين والعقل في إدارة هذه الفتنة، ولكننا نتوقع من علماء المسلمين وأصحاب الرأي فيهم ان ينهجوا منهجاً إسلامياً صحيحاً في إدارة هذه الفتنة، بعيداً عن التوتر والتشنج، داعياً إلى ضبط النفس،

والالتزام بحرمة دم المؤمن من كل المذاهب الإسلامية، محرّماً الانتماء إلى الجماعات المتطرفة التكفيرية التي تهدر دماء المسلمين، صريحاً في بيان هذه الحقائق جميعاً.

إن الذي سمعناه من بعض علماء الدين في السعودية وبلاد الخليج من التسرّع في الحكم وتأليب المسلمين بعضهم على بعض يختلف كثيراً عما يتوقعه المسلمون من أمثالهم من التريّث في الحكم، والاستماع إلى كل الاطراف في الاختلافات والتحقيق الميداني فيما يقع في العراق من القتل، والتفجير، والدعوة إلى التفاهم، والتعاون، والتقارب بين المسلمين، وتأكيد عُرى الأخوّة الإسلامية بينهم.

نخاطب نحن هؤلاء جميعاً، ونخاطب الذين اجتمعوا في اسطنبول، ونخاطب المراكز الإسلامية في العالم الإسلامي، ونقول: نحن إلى خطاب الوحدة، والتقارب، والأخوّة الإسلامية، واحترام دم المسلم، وماله، أحوج منّا إلى الخطابات الاستفزازية التي تؤلّب المسلمين بعضهم على بعض، وتثير الضغائن فيما بينهم.

ما هو الموقف؟

فما هو الموقف تجاه هذه المؤامرة الواسعة ذات الطابع الإرهابي والتخريبي؟ وما هو أهم متطلبات هذه المرحلة الصعبة في تاريخ العراق؟

إن هذه المرحلة منعطف من منعطفات التاريخ، والتهاون، والضعف، والتراجع امام زحف العدو، والتخاذل، وفقدان الموقف والمسؤولية والخطاب، واليأس، والتعب في هذه المرحلة ينعكس انعكاساً سلبياً على هذا الجيل والأجيال التي تلي هذا الجيل.

وبالعكس، الصمود، والمقاومة، والصبر، والعمل، وتحمّل عبء المرحلة بروح الأمل، والانفتاح على الله تعالى، والثقة بنصر الله، والتخطيط الهادف لمواجهة المرحلة، ووحدة الصف والكلمة والقرار والموقف، ينعكس على هذا الجيل والأجيال التي تلي هذا الجيل انعكاساً ايجابياً.

وهذه هي طبيعة المنعطفات في التاريخ ومرحلتنا الحاضرة واحدة من هذه المنعطفات.

فما هو الموقف؟ وما هي مسؤوليتنا في هذه المرحلة؟ وما هو خطابنا السياسي في مواجهة هذه الأزمات؟ وما هو منهج المواجهة والمقاومة في هذه المرحلة؟

الكلمات الثلاثة في آية الصبر والصلاة من سورة البقرة:

سوف ألخّص الموقف، ومنهج المواجهة والمقابلة، وآليّة العبور من هذه المرحلة الصعبة (عنق الزجاجة)، بآية من كتاب الله من سورة البقرة وهي الآية ١٥٣، وهي تلخّص منهج التعامل في هذه المرحلة بثلاث كلمات، واليك الآية الكريمة والكلمات الثلاثة: يقول تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾.

الكلمة الأولى (الصبر):

الكلمة الأولى في هذه الآية الاستعانة بالصبر في أزمات الحياة وأيام البأساء والضراء. والصبر هنا، اوسع من التحمّل، وإن كان التحمّل شرطاً اساسياً من شروط الموقف في المحنة.

وفي مقابل التحمّل: اليأس، والتعب، والانهيار، وهو معنى الخسران الكامل لكل مكاسب المرحلة، والاستسلام الكامل لكل خطط العدو وأهدافه، فلابد من التحمّل. والتحمّل شرط أساسي من شروط الموقف.

ولكنّ الصبر في الآية الكريمة أوسع من التحمّل، إنّه المواجهة، والمقاومة، والتخطيط، لإزالة مثلث المؤامرة والتشهير به، وفضح أهداف هذا المثلث المشؤوم، وتسقيطه، وتثقيف الجمهور وتوعيته،

لاجتياز هذه المرحلة الصعبة، والاحتفاف الشعبي الواسع حول المرجعية الراشدة لقيادة الموقف السياسي، وتوحيد الكلمة والموقف والقرار والخطاب، وتخفيف حالة التعدّدية السياسية مهما أمكن، وإزالة التوتّر من ساحتنا، وتعميق حالة التوافق والتفاهم واللقاء.

والتضامن السياسي في الموقف والقرار والخطاب بين الشرائح السياسية العاملة في الساحة مهما أمكن، وتأكيد حالة الأُخوة الإسلامية بين الطائفتين الإسلاميتين الكبيرتين في العراق (الشيعة والسنة)، والقضاء على حالة التوتّر الطائفي والمذهبي، وتغليب الحالة الإسلامية، وحالة المواطنة على حالات التوتر والتشنج، وتحذير الناس من الإثارات التي تثيرها الفضائيات المحيطة بنا في كل يوم، والانتباه إلى التضليل والتغرير الإعلامي الذي تمارسه الشبكات الخبرية والإعلامية الفضائية في العالم، ودعم الحكومة الحاضرة في مشاريعها الأمنية والخدمية والاقتصادية لتتجاوز المرحلة، والتعاون معها في تحمّل مسؤوليات المرحلة، وتسديدها، وتوجيهها من منطلق النصح، وليس من منطلق التخريب والتشهير، والاستعلاء على المسائل السياسية الصغيرة التي تثير الخلاف بين الأطراف السياسية من أجل التفاهم والتوافق على المسائل الكبيرة التي تهمّ البلد، والتخطيط والاهتمام والعمل لتوفير الخدمات

الاقتصادية وإنقاذ الطبقات المستضعفة ذات الدخل المحدود من القطاع العام والخاص، وتوفير الخدمات الضرورية للناس على قدر الإمكان، ومواساة المسؤولين في الدولة للطبقة المستضعفة في معيشتهم، والضغط على أمريكا لترتيب انسحاب قوّات الاحتلال من العراق طبقاً لجدول زمني محدد، وتدريب قوات الأمن، وتصفية المشاكل العالقة بين الفئات والجماعات السياسية، لتحقيق التفاهم والتوافق بين المجاميع السياسية، والاستعانة بالناس في كل منطقة وحيّ وقضاء وناحية للمحافظة على أمن المنطقة والدفاع عنها، ومعاقبة المجرمين الذين يمارسون الإرهاب ويسلبون أمن الناس علناً، وتفعيل المحاكم الجنائية والقضاء لإنزال العقوبات القاسية بالمجرمين لردعهم عن ممارسة الإرهاب والعنف، ومواصلة الجمهور للحضور المكثف في الشارع، وعدم الانسحاب عن الشارع، فان الشارع متى أُخلي عن أصحابه وأهله يشغله الانتهازيون الذين يبحثون عن فرص الظهور والابتزاز والتسلّق إلى مواقع المسؤولية، من دون تحمّل المسؤولية، وتشذيب أجهزة الأمن في الدولة من العناصر المشبوهة التي تُخلّ بالأمن تحت غطاء الأمن، واعتماد العناصر الكفوءة المؤمنة في كل المواقع، ورفض أُسلوب المحاصصة بين الجماعات السياسية في توزيع المواقع...

إلى غيرها من النقاط التي تبني الدولة وتقوّيها، وتضعف

شبكات الإرهاب وتنقضها... وهذه النقاط كلها من (الصبر)، الصبر على العمل، والصبر على البناء، والصبر على التخطيط، والصبر على الإعداد والتحضير، والصبر على مكافحة الإرهاب، والصبر على بناء أجهزة الدولة بناءً صحيحاً... وليس الصبر فقط هو المعنى السلبي الذي يفهمه عامة الناس من الصبر بمعنى التحمّل، وان كان التحمّل من الصبر ومن ضرورات المرحلة، ومتى نفذ تحمّل الناس استسلموا للمؤامرة الكبيرة لا محالة... فلابد من التحمّل والمقاومة، ولابد من تثقيف الناس على ذلك، ولابد من تعميق حالة الصبر ـ بمعناه الواسع الايجابي ـ في المجتمع، وفي أجهزة الدولة. هذه هي الكلمة الأُولى من آية الصبر والصلاة في سورة البقرة.

الكلمة الثانية (الصلاة):

الكلمة الثانية في الآية (الصلاة): ﴿**اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ**﴾، وللصلاة في هذه الآية معنى واسع يشمل الاستعانة بالله في البأساء والضراء، والدعاء بالنصر، والتوكل على الله، واللجوء اليه، والاستعانة به تعالى ساعة العسرة والشدة.

وقد كان الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم وأنصارهم يلجأون إلى الله تعالى في ساحات الصراع يلتمسون من الله تعالى النصر، ويستغيثون به فيرزقهم الله تعالى النصر.

وقد قام رسول الله صلى الله عليه وآله في وادي بدر بين يدي الله تعالى يسأله النصر، ويتضرع إليه في النصر، ولم يزل واقفاً يستغيث ويتضرع إلى الله في طلب النصر حتى سقط رداؤه عن متنه.

ولقد نام المسلمون جميعاً ليلة وقعة بدر (عدى خفارات تعهدت خفارة الجيش وحراسته) إلاّ رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يزل قائماً تحت شجرة في ذلك الوادي يدعو، ويستغيث، ويتضرّع إلى الله تعالى في طلب النصر حتى الصباح، كما يصف ذلك أميرالمؤمنين عليه السلام.

ولنستمع إلى طرف من أدعية الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم في طلب النصر من عند الله في ساعات البأساء والضراء.

فهذا شعيب عليه السلام وقومه يدعون الله تعالى أن يفتح بينهم وبين قومهم بالحق ﴿**رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ**﴾[الأعراف: ٨٩].

وبإزاء تهديد فرعون يتضرع السحرة إلى ربهم بعد ان آمنوا: ﴿**رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ**﴾[الأعراف: ١٢٦].

ويفزع قوم موسى عليه السلام إلى ربّهم في فتنتهم ومحنتهم المعروفة: ﴿**رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**﴾[يونس: ٨٥ ـ ٨٦].

ويتضرع طالوت عليه السلام والذين آمنوا، وقاتلوا معه جالوت... إلى الله تعالى أن ينصرهم الله على جالوت وجنوده ﴿**وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُواْ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ**﴾[البقرة: ٢٥٠ ـ ٢٥١].

ويُعَلّمُ الله تعالى المؤمنين الذين وقفوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أيام البأساء والضراء ان يستنصروا الله تعالى ويستغيثوا به في طلب النصر: ﴿**رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**﴾[البقرة: ٢٨٦].

ولوط عليه السلام يسأل الله تعالى ان ينصره على قومه:

﴿**قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ**﴾[العنكبوت: ٣٠].

ونوح عليه السلام يدعو الله أن ينصره على قومه الذين كذّبوه ورفضوه: ﴿**قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ**﴾[المؤمنون: ٢٦].

أجل، إن الاقبال على الله بالدعاء والتماس النصر، والاستغاثة إلى الله تعالى في إنزال العقوبة بالقوم الظالمين من سنن الأنبياء عليهم السلام... وإنّ الله تعالى يُحبّ ان يُقْبِلَ عليه عباده في ساعات البأساء والضراء بقلوبهم ووجوههم ونواصيهم، يطلبون منه النصر، ويتضرّعون إليه في أن ينزل بهم النصر، وعلى عدوهم القهر

والهزيمة.

وكانت هذه السنة سنة المرسلين من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام والمؤمنين الصالحين من أمته.

ولن يلجأ المؤمنون إلى الله تعالى إلاّ أن يستجيب لهم، ويدفع عنهم النصر، ويكشف عنهم السوء.

الاحتلال الأمريكي

إنّ أمريكا تحتل أرضنا، وتنشر قواتها المدعومة بقوات الاحتلال على مساحات واسعة من أرض العراق، وليس في نيّتها أن تنسحب من العراق، وقد دخلت العراق لتبقى في العراق، لا لتخرج منه.

وإنّ من السذاجة أن نتصور أن الأمريكان دخلوا العراق ليحرّروا الشعب العراقي من دكتاتورية صدّام وزمرته ثم يعودوا إلى بلادهم، بعد أن يطمئنوا إلى سير الأمن والديمقراطية في العراق!!!

إنّ أمريكا تفكّر في نفط العراق، وحماية ظهر إسرائيل من ناحية العراق والسيطرة على الخليج، وحسب.

ولا تغيّر هذه الحقيقة الأكثرية الديمقراطية في مجلس الشيوخ

والكـونغرس الأمريكـي، فـإنّ اعتـراض الـديمقراطيين علـى الجمهوريين في أصل الدخول في المستنقع العراقي، وليس في الخـروج منـه، وبينهمـا فـرق،... وقـد رفـع (كَيـري) المنـافس الـديمقراطي لبـوش كـل شـعاراته وبرامجـه الـسياسية فـي الحملـة الانتخابية في الانتخابات الرئاسية الأمريكية، ولم يُشِرْ قط إلى نيّته في الخروج عن العراق.

ولقد لخّص أحد القادة الأمريكان المأزق الأمريكي كله في العراق بكلمة دقيقة، فقال: إنّ مشكلة أمريكا في العراق انها لا تستطيع ان تبقى في العراق، ولا تستطيع ان تخرج منه.

اذن نحن أمام واحدة من أخطر تبعات العهد الصدّامي، وهو حضور الاحتلال الأمريكي في العراق... وأن الدخول في العراق كان خطاءً والخروج منه خطاء أكبر من الخطاء الأول... وهذا هو المأزق الأمريكي بين المتناقضات.

والأمريكان في العراق يرثون خبرات الإنكليز في فرض سيطرتهم على العراق، وفي العبث والإفساد في البلد. فهم قد تعلّموا من الإنكليز اللعب على حبل الطائفية المذهبية في العراق، والميل إلى السُنّة للضغط على الشيعة، والميل إلى الشيعة للضغط على السُنّة، وإثارة الصراع الطائفي في العراق، وتهديد الشيعة بالسُنّة،

وتهديد السُنّة بالشيعة.

وليس لنا نحن بإزاء هذا الواقع السياسي الذي خلّفه لنا العهد الصدّامي المشؤوم غير اللجوء إلى الله تعالى والاستعانة به والتوكل عليه والاعتصام بحبله، والصمود، والمقاومة، والتخطيط، والعمل لتجاوز هذه المرحلة.

إنّ أمريكا وبريطانيا قوتان استعماريتان غاشمتان ترثان مواريث الطغاة في الاستكبار على الشعوب، واستضعافها، وإذلالها، وإرهاقها بالمشاكل، ونهب خيراتها، وسلب حرّيتها وإرادتها، ومسخ هويّتها الدينية والحضارية. وتمتلكان إمكانات عسكرية وإعلامية واقتصادية هائلة.

وفي مثل هذا الابتلاء العريض لا يبقى لنا إلاّ أن نلجأ إلى الله تعالى ونتضرّع إليه، ونطلب منه النصر، ونركن إليه تعالى، ونثق بوعده بالنصر... وهذا الدعاء إليه والثقة بوعده هو معنى الصلاة في آية البقرة: ١٥٣.

الربّانية في ساحة الصراع

إنّ الحالة (الربّانية) في المجتمع تمنح المؤمنين قوة وصموداً وثباتاً على أرض المعركة، وتدعم مواقفهم وتُثبّت أقدامهم، وتُطمْئن قلوبهم، وتربط على قلوبهم: ﴿**وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ**

رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾[آل عمران: ١٤٦].

إن الربانية في الحياة تُحَوِّل ضعف المؤمنين إلى القوّة، واستكانتهم للعدو إلى رفض ومقاومة... والكلمة الأخيرة في الآية الكريمة ﴿**وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ**﴾... وهي توحي بالتلازم الشديد بين الصبر والمقاومة من جانب والربانية من جانب آخر.

إنّ (الربانية) ليست شعاراً، ولا إنشاءً ولا إطاراً للمعركة، وإنما هي التوجّه إلى الله، والإقبال على الله، والالتزام بحدوده وأحكامه وتعبيد الناس له، وإقامة الدين حنيفاً في وسط المجتمع، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله، وأن نغضب لله ونقاتل لله، وأن نعطي لمجتمعنا وساحتنا الصبغة الربانية الإلهية، ونخلص له تعالى في أعمالنا ونيّاتنا، ونتحابب في الله، ونتعاون لله، ونأخذ بأمر ونهيه، ونتقرّب إليه بالأعمال الصالحة، ونحذر ونتجنّب ما يُحَرّمه ويحظره علينا، ونحب لله ونبغض في الله.

إن (الربانية) نية، وسلوك، وعطاء، وطاعة، وإخلاص، وتقوى، وذكر، ودعاء، وصلاة، وأخلاق، وقيم... الخ وهذه النقاط وغيرها تدخل جميعاً في تكوين الحالة الربانية في المجتمع.

والحالة الربانية من أهم عوامل النصر والتغلب على المشاكل

والأزمات.

نحن نفهم المقاومة، ومواجهة المشاكل، والصراع على طريقة مختلفة تماماً عن الطريقة التي يفهمها بها الغربيون، ونحن نحلل القضايا السياسية والحركية على منهج مختلف تماماً عن المنهج الغربي.

نحن نعتقد أنّ العامل الغيبي جزء أساسي من العوامل المؤثرة في ساحة المعركة والصراع، وشرط أساسي للنصر، من دون أنْ نُهْملَ الجانب الميداني، والعوامل المؤثرة في الساحة. إنّ الصلاة، والدعاء، واللجوء إلى الله تُكْسبنا الدعم والنصر الإلهي في هذه المعركة، والإيمان بهذه الحقيقة جزء من عقيدتنا في الله تعالى...

وهذه هي الكلمة الثانية في آية البقرة: ١٥٣.

الكلمة الثالثة (معية الله):

الكلمة الثالثة في الآية المتقدمة (معيّة الله)، ﴿**إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾...

إنّ معية الله تعالى للمؤمنين حقيقية على الأرض، في ساحة المواجهة والصراع والقتال **أوّلاً**.

وسبب يبعث الطمأنينة في قلوب المؤمنين، ويرفع معنوياتهم في ساحات المواجهة والصراع، ويمنحهم دعماً نفسياً قوياً، وشعوراً

بالاستعلاء على العدو ومكره وكيده **ثانياً**.

وحقيقة في التاريخ نستخرجها من مسيرة الأنبياء وأوصيائهم وأوليائهم والصالحين من عباد الله في مواجهة الطغاة والجبارين والمفسدين في الأرض.. **ثالثاً**.

فلم يزل ينصر الله تعالى عباده الصالحين على المفسدين في الأرض جيلاً بعد جيل.

وإليك إيضاح هذه النقاط الثلاثة:

أما النقطة الأولى، فإن النصر الإلهي حقيقة قائمة على الأرض، وليس إيحاءً نفسياً يحفظ المعنويات، وأدباً من أدبيات المعركة.

يقول تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[محمد: ٧].

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾[غافر: ٥١].

والنصر هنا في الحياة الدنيا **﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾**، وليس الفوز في الحياة الآخرة، وإن كان الفوز في الآخرة مما خصّ الله تعالى به رسله والذين آمنوا دون الكافرين والمنافقين والمفسدين في الأرض، **﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾**.

ويقول تعالى: **﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾**[البقرة: ٢٤٩].

ولكن لابد ان نضيف إلى هذه النقطة أمرين يؤكدهما القرآن، وهما: (شروط النصر)، و(طريقة النصر)، فإنّ النصر حاصل لا محالة، وهو وعد الله تعالى الذي لا يخلف وعده **﴿وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾**[الروم: ٤٧].

أما (الشروط) التي يشترطها القرآن لتحقق الوعد الإلهي بالنصر فهو:

﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[محمد: ٧].

والشرط: (إن تنصروا الله).

﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ﴾[الحج: ٤٠].

والشرط: (من ينصره).

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[الأنفال: ٦٠].

والشرط: إعداد القوة للساحة.

﴿وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[البقرة: ١٩٤].

والشرط: التقوى.

وأما (الطريق) الذي يمرّ عليه النصر لا محالة فهو طريق ذات الشوكة، ولابد من العبور على طريق ذات الشوكة على كل حال:

﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾[الأنفال: ٧].

وقد أبى الله تعالى إلاّ ان يجعل طريق النصر على ذات الشوكة. ومن دون أن يتحمّل المؤمنون ذات الشوكة لن ينالوا النصر.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ، وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم، مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء، وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ﴾[البقرة: ٢١٤].

إن طريق النصر لابد ان يمر بذات الشوكة على كل حال، ولكن (ذات الشوكة) عبور فقط، وأمّا العاقبة فهي النصر، بإذن الله.

﴿إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[هود: ٤٩].

واما النقطة الثانية، فإن الإيمان بمعية الله للمؤمنين في ساحة الصراع والمواجهة يبعث في نفوس المؤمنين الثقة بنصر الله تعالى، ويمنحهم الطمأنينة، ويربط على قلوبهم، ويرفع معنوياتهم، ويشعرهم بالاستعلاء على عدوهم، وهذا هو الشطر الأول من النصر، فإن الشطر الأول من الانتصار يتم في عزيمة المقاتلين وارتفاع معنوياتهم وإيمانهم بالنصر، والشطر الآخر يتم على أرض المعركة.

ويعتبر اليوم رفع معنويات المقاتلين في ساحات القتال وإحباط

معنويات العدو واحداً من أهم مقومات المعركة، و(الحرب النفسية) جزء لا يتجزأ من (حرب الميدان).

ولا شيء يمنح المقاتل القوة والعزم والاحساس بالاستعلاء على العدو والإيمان بالنصر كالاحساس بمعية الله تعالى له في ساحة القتال.

وهذا هو التثبيت المعنوي لأقدام المؤمنين على أرض المعركة، وربط القلوب.

﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ﴾[الأنفال: ١١].

وبالعكس يحبط الله معنويات العدو، ويلقي في قلوبهم الرعب.

﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُواْ بِاللّهِ﴾[آل عمران: ١٥١].

وأما النقطة الثالثة... فليست معية الله تعالى للمؤمنين حدثاً طارءاً، وصدفة من الصدف، تحصل مرة ولا تحصل أخرى، وإنما هي سنة ثابتة لا تحويل لها ولا تبديل.

﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾[الأحزاب: ٦٢].

﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً﴾[فاطر: ٤٣].

إن معية الله للمؤمنين سنة ثابتة في الصراع بين معسكر التوحيد والشرك على امتداد التاريخ.

﴿وَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُوداً وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ﴾[هود: ٥٨].

﴿فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحاً وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ﴾[هود: ٦٦].

﴿وَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْباً وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ﴾[هود: ٩٤].

﴿وَاذْكُرُواْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ﴾[الأنفال: ٢٦].

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾[آل عمران: ٢٣].

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾[التوبة: ٢٥].

ونخرج من اعماق التاريخ، لندخل في آفاق الحاضر والمستقبل.

لقد شاهد أبناء الاربعينات وأبناء الخمسين كيف نصر الله تعالى المؤمنين المستضعفين في إيران بقيادة الإمام الخميني رحمه الله على أعتى قوة عسكرية وأمنية في المنطقة؟ وهي قوة الشاه، وكيف تهاوى الصرح الذي شيّده بهلوي على الدماء وجماجم المؤمنين؟ وكيف سقطت القلعة التي شيّدتها أمريكا في هذه الرقعة التي أعدتها لتكون جزيرة للأمن والاستقرار لمصالح أمريكا في المنطقة... سقطت على أيدي الجماهير العزّل من كل سلاح وقوة، إلاّ الإيمان الذي كان يعمر قلوبهم وصدورهم والثقة بنصر الله تعالى وتأييده؟

ولا نخرج عن آفاق الحاضر، حتى نذكر مثالاً آخر لتطمئن، أكثر من ذي قبل، قلوب المؤمنين إلى النصر في أجواء عاصفة بالإرهاب والعنف والاحتلال.

وهو انتصار حزب الله في لبنان على (إسرائيل) أعتى قوة عسكرية في الشرق الأوسط، مرتين خلال ستّ سنوات:

في المرة الأولى عام ٢٠٠٠م حيث اضطرت إسرائيل إلى الانسحاب عن جنوب لبنان تجرّ وراءها الخيبة والخسران ازاء العمليات الشجاعة التي كان يقودها حزب الله في وجه العدوان الإسرائيلي.

وفي ٢٠٠٦م سجّل حزب الله مرة أخرى انتصاراً على إسرائيل بعد ٣٤ يوماً من القتال الضاري بين حزب الله وإسرائيل، أدخلت فيه إسرائيل سلاحها البري والبحري والجوي، ووقفت أمريكا حتى النخاع للدفاع عنها ودعم موقفها، ولكن مشيئة الله تعالى كانت فوق ما تريده إسرائيل وأمريكا.

هذا عن الحاضر، وأمّا عن المستقبل، فنقتصر على هاتين الآيتين الكريمتين من سورة القصص والأنبياء:

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[القصص: ٥].

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُــورِ مِــن بَعْــدِ الــذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَــا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[الأنبياء: ١٠٥].

وصدق الله العلي العظيم وصدق أنبياؤه ورسله.

العناصر الخمسة للموقف تجاه الأزمة

أيها المؤمنون، يَمُرُّ العراق اليوم بظروف صعبة وحرجة، وهي واحدة من منعطفات التاريخ المعاصر الكبيرة. وخسارة هذه المرحلة لا تنعكس على هذا الجيل فقط، وإنما تتجاوزه إلى الأجيال اللاحقة.

وبعكس ذلك فإنّ الخروج من هذه الأزمة بنجاح يؤدي إلى نجاحات ومكاسب سياسية وثقافية واقتصادية لهذا الجيل وللأجيال التي تلي هذا الجيل في الحاضر والمستقبل.

والموقف السليم الراشد تجاه هذه الأزمة الأمنية والسياسية والاقتصادية يتألف من مجموعة نقاط، أهمها خمسة نذكرها تباعاً وإشارة وننهي هذا الخطاب.

أولاً: الوعي الإيماني والوعي السياسي

وعي سنن الله تعالى في التاريخ والمجتمع ومعرفة الوسائل التي تمكّن الأمم من الخروج من الأزمات، ومعرفة الأسباب التي تؤدي إلى انهيار الأمم وسقوطها في الأزمات واعتماد الأولى والاحتراز من الثانية.

وأن نحذر من عوامل التجهيل، والتغرير، والتضليل، وتسطيح

القضايا السياسية، والتحريفات التي تقوم بها الفضائيات، وشبكات الخبر، ووكالات الأنباء العالمية.

ومن هذا الوعي، وعي (معية الله تعالى) للمؤمنين، ووعده لهم بالنصر، ما ثبتوا، وصمدوا، وقاوموا، ونصروا دين الله، وأن الله تعالى لن يتخلّ عنهم في بأساء الحياة وضرائها.

وهذا المزيج من الوعي الإيماني والسياسي من ضرورات المرحلة.

ورسالة العلماء وخطباء المنبر الحسيني، وخطباء الجمعات والجماعات والمثقفين الرساليين والمدرسين والمعلمين رجالاً ونساءً والمحطات الخبرية والإعلامية الصالحة نشر هذا الوعي بين الناس.

إن الوعي السياسي ـ اليوم ـ حاجة أساسية من حاجات أمتنا وساحتنا، ومن دونه نفقد القدرة على المقاومة في وسط الفتن التي تنتابنا في كل يوم.

إنّ هذا الوعي يمنح ساحتنا حصانة تحفظها من الكثير من الانزلاقات السياسية التي تتعرض لها الأمم التي لا تمتلك هذا الوعي، ويحفظ لها مواقعها، ويحافظ على وحدتها، ويحفظها من الفتن، ويمنحها قدرة عالية على المقاومة والصبر.

ومثل هذا الوعي لا يكون إلاّ في قاعدة الهرم الاجتماعي. أما وعي النخبة، في قمة الهرم، فلا يمتلك هذه القدرة على حماية الساحة وتحصينها. وقد يكون وعي النخبة هو مصدر الوعي في الشارع، ولكن لا يكون له هذا الدور الكبير في تحصين الأمة وحمايتها، ما لم ينزل من قمة الهرم إلى قاعدة الهرم الاجتماعي العريضة. ويخطأ من يشكك في قدرة قاعدة الهرم الاجتماعي عندنا على تلقّي وقبول الوعي السياسي وتبنّيه.

إن الثورات الإسلامية الكبرى التي حرّرت العالم الإسلامي من نفوذ الاستكبار العالمي، بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية، من نتائج هذا الوعي... إن الثورة التي عمّت العراق ضد الإنكليز، وأجبرتهم على الانسحاب عن العراق، والثورة التي عمّت بلاد الشام والجزائر ضد الفرنسيين، وأجبرتهم على مغادرة بلاد الشام والجزائر، والثورة التي عمّت ليبيا ضد الاستعمار الإيطالي وأجبرتهم على الانسحاب من ليبيا، والثورة التي عمّت إيران ضد النفوذ الأمريكي، وقضت عليه... هي من نتائج وآثار وبركات هذا الوعي... وأن يد الله تعالى مع الوعي، ومع الجماعة، ومع التقوى.

والإعلام هو الأداة المفضلة للاستكبار العالمي في مكافحة هذا الوعي. ولم يكن للإعلام مثل هذا الدور الواسع والقوي أمس، ولم

يكن للإعلام هذا الشأن في تسطيح الوعي عند الناس في الفترة السابقة من تاريخنا السياسي.

أما اليوم فقد أصبح للإعلام بفضل الآليات الإعلامية المتطورة الحديثة دور أقوى وأوسع في التأثير على الرأي العام، وفي تضليل الناس، وقلب الحقائق، وتزويرها، وأصبح الإعلام المعاصر جزءاً لا يتجزأ من حياتنا الثقافية والسياسية اليوم.

وتُمسك أنظمة الاستكبار العالمي وعملاؤها في العالم الإسلامي بأزمّة هذا الإعلام وناصيته، وتحركه، وتوجّهه بالطريقة التي تخدم قضاياها في العالم الإسلامي.

وفي وسط هذه الحرب الإعلامية الهادفة الموجّهة ضد قضايانا السياسية الكبرى، تتضاعف مسؤولية العلماء والكتّاب والخطباء والمثقفين الإسلاميين والأحزاب والجماعات الإسلامية في نشر الوعي السياسي من وجهة نظر الإسلام، وتوجيه الأمة إلى قضاياها السياسية، ودعوة الأمة إلى الترفع عن المسائل الصغيرة، لتوحيد الرؤية والموقف والخطاب والعمل تجاه قضايا الأمة الكبرى.

إن لمنبر الجمعات والمنبر الحسيني دوراً واسعاً وكبيراً في الدفاع عن قضايا الأمة السياسية... وإن الناس يقبلون على هذا المنبر وذاك، وعلى خطاب المسجد، أكثر مما يأخذون من الخطاب

الإعلامي الموجّة ضد قضايانا... رغم الإمكانات الكبيرة الموفرة للخطاب الثاني وبدائية آلياتنا الإعلامية في الخطاب الأول..

والشارع الإسلامي يمتلك ـ بفضل الإسلام ـ كفاءة عالية لتلّقي التحليل السياسي الصحيح، وفرز الحق عن الباطل، وقبول الحق على مرارته وصعوبته، ورفض الباطل رغم كل المغريات التي تكتنفه.

وقد أثبتت الأحداث المعاصرة الأخيرة في لبنان، وفلسطين، وإيران، والعراق، وأفغانستان أن المجتمعات الإسلامية قادرة على تجاوز الوسائل الإعلامية المضلّلة، ومستعدة للدفاع عن قضايا الأمة الكبرى، وقادرة على تجاوز الحواجز الطائفية، ومؤهلة للدرك الصحيح لقضايانا السياسية الكبرى.

ثانياً: الصبر والمقاومة

هذه فترة محنة وفتنة وابتلاء، تمرّ بالعراق، كما تمرّ بأي بلد آخر... فإن الابتلاء والفتنة من السنن الإلهية التي لا يخلو منها قوم ولا بلد. ولابدّ ان يبتلي الله تعالى الأقوام والشعوب والبلاد... ثم تنجلي هذه الفتن لا محالة.

وفي هذه الفتن والابتلاءات يسقط أقوام ويسلم آخرون... ومنهج السلامة في هذه الفتن (التقوى) و(العمل الصالح)

و(المقاومة والصبر).

والمقاومة والصبر أحد عوامل النجاة والسلامة عندما تعصف رياح الفتنة بالشعوب والأمم.

إن الصبر والمقاومة يأتيان بمعية الله تعالى، ولا شيء ينفع الناس في مقابلة أمواج الفتن مثل معيّة الله... وقد وعدنا الله ان يكون مع الصابرين: ﴿**إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾[الأنفال: ٤٦].

وبعكس ذلك (الجزع) في مقابلة الفتن والابتلاءات تُسقط الشعوب والأمم وتُهلكهم.

والعراق اليوم وجهاً لوجه في مواجهة فتنة الإرهاب والاحتلال. ولا سبيل لنا للخلاص من فتنة الإرهاب والاحتلال الا بالصبر والمقاومة.

ثالثاً: توحيد الموقف والقرار

إن قراءة سريعة لساحتنا وما يحيطنا من عوامل الشرّ تكفي لتحسيسنا بمسؤوليتنا الكبيرة، في توحيد الموقف والقرار السياسي في ساحتنا، بين الشرائح والجماعات السياسية العاملة في ساحتنا.

نحن اليوم مستهدفون من ناحية المثلث المشؤوم الذي تحدّثنا عنه (أمريكا، والإرهاب، والبعث)، والغاية التي يطلبها هذا المثلث هو مصادرة كل مكاسب المرحلة، ومصادرة ثمار دماء الشهداء

وعذاب المؤمنين في السجون خلال هذه الفترة، وتهميش دور الجمهور، بالكامل وتسليط عصابة من هذه العصابات المتنافسة على الحكم في العراق على مصير هذه الأمة.

فإذا وحّد الناس ومن يمثّلونهم في مواقع المسؤولية، كلمتهم وموقفهم وقرارهم، فإن يد الله تعالى لن تتخلّ عنهم، ويمكّنهم الله تعالى من أعدائهم، ويمنحهم القوة والعزم، والمقاومة، وإذا تشتّتت كلمتنا ومواقفنا وقراراتنا، وصرنا أُمماً شتّى، فسوف يفوتنا النصر، ويغلبنا أعداؤنا، لا سمح الله.

إن (التعددية السياسية) حالة على الأرض، لا نحمدها، ولا نستطيع أن نتجاهلها، ولكننا يجب أن نحذر أن تتحوّل هذه التعددية السياسية إلى تعددية القرار والموقف والقيادة، وما يستتبع ذلك من تقاطعات وتخالفات في الموقف والقرار عندئذ نخسر الجولة كلها ـ لا سمح الله ـ ويشترك في هذه الخسارة كلّ الأطراف من غير استثناء، وتعود هذه العصابات المستأثرة بالحكم لتمارس من جديد الظلم والبطش والفتك، مرة أخرى، بكل أطياف هذه المجموعات السياسية المتعددة... ثم لا يرحمونا ولا يبقون علينا.

وعلينا ان نفرق بين التعددية في التجمعات السياسية، والعمل، والحركة، والنشاط السياسي، وبين التعددية في القرار والموقف والقيادة، فنتقبّل الأول، كأمر واقع، ونرفض الثاني رفضاً قاطعاً.

يقول تعالى:

﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾[آل عمران: ١٠٣].

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[آل عمران: ١٠٤].

﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[آل عمران: ١٠٥].

رابعاً: التزام المرجعية وإسنادها

إن المرجعية الدينية الرشيدة في تاريخنا وحاضرنا تحمل دائماً القرار السياسي الرشيد، والقيادة الرشيدة في الأزمات... وتاريخنا حافل بالمواقف والقرارات الراشدة الهادية للمرجعية الدينية.

ولم يزل أهل البيت عليهم السلام يُوجّهون هذه الأمة بطاعة المرجعية الفقهية الرشيدة واتباعها، والالتزام والاحتفاء بها.

والمرجعية هي الضمان لتوحيد الموقف والقرار السياسي في الأزمات، حيث لابدّ لنا من توحيد الموقف والقرار.

وما تحدثنا عنه آنفاً من ضرورة توحيد الموقف والقرار في مقابلة التحالف المشؤوم الذي أشرنا إليه في هذا المقال ليس إنشاءً ولا شعاراً، يتحقق بالهتافات والخطابات السياسية، وإنما هو مجهود سياسي جمعي تجتمع فيه الأمة بكل شرائحها وقطاعاتها، وضمان

تحقيقها وحدة القرار والموقف في القضايا الأُم الرئيسية، وهذه الوحدة لا تتحقق في واقعنا السياسي في العراق إلاّ من خلال الاحتفاء بالمرجعية والالتزام بها والاصطفاف معها في الأزمات.

وقد أثبتت المرجعية خلال هذه الفترة قدرتها على التصدي ومواجهة الفتن السياسية، وحذرت من الوقوع في شرك الفتنة الطائفية، وتبنّت الدعوة إلى وحدة الكلمة ورصّ الصف، ووحدة الموقف السياسي، من خلال وحدة واجتماع الشرائح السياسية العاملة في الساحة، ودعت الناس إلى المشاركة الواسعة في الحياة السياسية، وحذّرتهم من مؤامرات التهميش السياسي، وتلقّى الناس خلال هذه الفترات نداءات المرجعية بالاستجابة، ووقفت معها، وأسندتها، رغم الظروف الصعبة التي يمرّ بها العراق.

خامساً: الحضور الدائم في الساحة السياسية

...وهذه نقطة خامسة مهمة، طالما ذكّرت به في خطابات وأحاديث سابقة، وأذكّر هنا مرةً أخرى على ضرورة الحضور الواعي في الساحة السياسية، فإن الساحة متى خلت من أبنائها الحقيقيين، يشغلها الانتهازيون الذين يحسنون التسلق على الحبال، والصيد في الماء العكر.

إنّ الحضور في الساحة وسط هذه الأزمات الحادة عبادة يتقرب

بها العبد إلى الله تعالى، ويثيب بها الله تعالى عباده.

وقد يكون للحضور في الشارع قيمة الحضور في المسجد، إذا كان الحضور الواعي في الشارع دعماً للموقف الإسلامي، ودفاعاً عن حقوق المستضعفين وتسقيطاً وتشهيراً وطرداً للمجرمين والمفسدين.

إنّ حضوركم، أيها المؤمنون، في الساحة السياسية يملأ أسماع أوليائكم وأبصارهم، فيستريحون إليكم، وتطمئن إليكم نفوسهم، ويُشعرهم بالقوة والاستعلاء على العدو، ويملأ أبصار أعدائكم وأسماعهم فتصيبهم الخيبة والإحباط، وينزوون ويتركون الساحة.

على أن يكون الحضور حضوراً واعياً موجّهاً، وليس حضوراً غوغائياً.

ومن مصاديق الحضور الموجه الواعي حضور صلوات الجمعة والجماعات، وزيارات علي والحسين عليهما السلام في أيام الزيارات المخصوصة، ومسيرات المشاة إلى زيارة الحسين عليه السلام، حُضور مجالس الحسين عليه السلام في شهر محرم ومواكب العزاء وسائر التجمعات الإسلامية الهادفة.

وعلى العلماء والخطباء، والمثقفين الإسلاميين أن يستثمروا هذه الاجتماعات البشرية الكبيرة التي ننعم بها نحن بفضل ثورة الحسين عليه السلام وشهادته بالتوعية الإيمانية، والسياسية، والتثقيفية،

والتوجيه، والإرشاد، والدعوة إلى التقريب والتفاهم بين المسلمين، وترسيخ أسس الاخوّة الإسلامية بين المسلمين، وتعرية عوامل الفتنة والاختلاف وعملاء الاستعمار، ومجاهدة الظالمين والطغاة، والتبري عنهم وعن أعمالهم ومشاريعهم ـ بحسب الإمكان ـ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله ورسوله ودينه وحدوده وأحكامه.

عندئذ يتحوّل شارعنا وجمهورنا إلى جمهور واع، وراشد، ومقاوم، ومؤمن، يقاوم المحنة، ويرفض الاستسلام.

وقد هيأ الله تعالى لأمتنا كل مقومات الرشد والوعي والمقاومة، لتكون الأمة الشاهدة على وجه الأرض.

والحمد لله رب العالمين.

الفهرس